منظمة التحرير الفلسطينية ومرحلة الانتصار السياسي (١٩٧٢ ـ ١٩٧٤)

عدنان حسين

باخراجها من الاردن، وجدت منظمة التحرير الفلسطينية، وحركة المقاومة الفلسطينية عموماً، نفسها تجاه وضع سياسي ـ عسكري حرج. فخسارة أطول خط مواجهة مع العدو، وحلقة الاتصال الرئيسة بين نصف الداخل ونصف الخارج من الشعب الفلسطيني وثوار الداخل وثوّار الخارج، دفعت بعيداً ليس فقط بهدف الثورة الاستراتيجي «تحرير كامل التراب الفلسطيني»، بل، كذلك، بالهدف المرحلي المصاغ في الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني (القاهرة، ١٩٧١/٢/٢٨ ـ ١٩٧١/٣/٥) وهو «حماية الثورة من أعدائها، وتصعيدها، والسير بها نحو تحقيق الهدف الاستراتيجي».

لقد اصبحت الجبهات الخارجية، كلها، مغلقة أمام العمل الفدائي، الّا الجبهة الشمالية، اللبنانية، المحدودة في طولها وامكاناتها وأهميتها، والمقيّدة بالوضع اللبناني الداخلي المفرط في حساسيته حيال أية حالة ثورية، وأية مواجهة عسكرية مع اسرائيل التي تتفوّق على لبنان بعشرات، وربما مئات، المرات في مستوى تسلّحها وقدرتها القتالية.

وزاد في حجم وقوة الوضع الذي واجهته الثورة الفلسطينية، وكيانها السياسي، في مرحلة ما بعد الاردن، ان دول الطوق العربية، التي هي قاعدة انطلاق العمل الفدائي الخارجي ومستودع تموين العمل الفدائي الداخلي، أسفرت عن مواقف وسياسات تناهض خيار الكفاح المسلّح وهدف التحرير. فمصر سعت الى حلّ جزئي يتعلق بقناة السويس وشبه جزيرة سيناء؛ والاردن أخلى ساحته من الوجود المسلّح، والسياسي، للفلسطينيين، وطرح مشروعاً لمملكة متحدة بين الاردن وما يستعاد، بالعمل السياسي بالطبع، من الاراضي الفلسطينية؛ وسوريا أعلنت، لأول مرة، موافقتها على قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢؛ ولبنان قويت فيه الدعوات الى ايقاف النشاط الفلسطيني المسلّح فيه، واعادة النظر في «اتفاقية القاهرة»، المبرمة سنة ١٩٦٩.

وعلى الارض الفلسطينية المحتلة، واجهت الثورة ومنظمة التحرير الفلسطينية، في تلك المرحلة أيضاً، تحديين خطرين: الاول، سياسة اسرائيلية جديدة لاقامة نوع من الادارة المحلية، في اطار ادارة الاحتلال، في الضفة والقطاع، عبر تنظيم انتخابات للمجالس المحلية والبلدية؛ والثاني، محاولة شخصيات فلسطينية، أقرب في ولائها الى اسرائيل منها الى المنظمة أو حتى الى الاردن، اقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع منفتحة على اسرائيل، وربما متّحدة معها في اطار فيدرالي، أو كونفدرالي.